العتبة العباسية المقدسة

الخميس

أسبوعية ثقافية

السنة السادسة

العدد ٣١٣

تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة

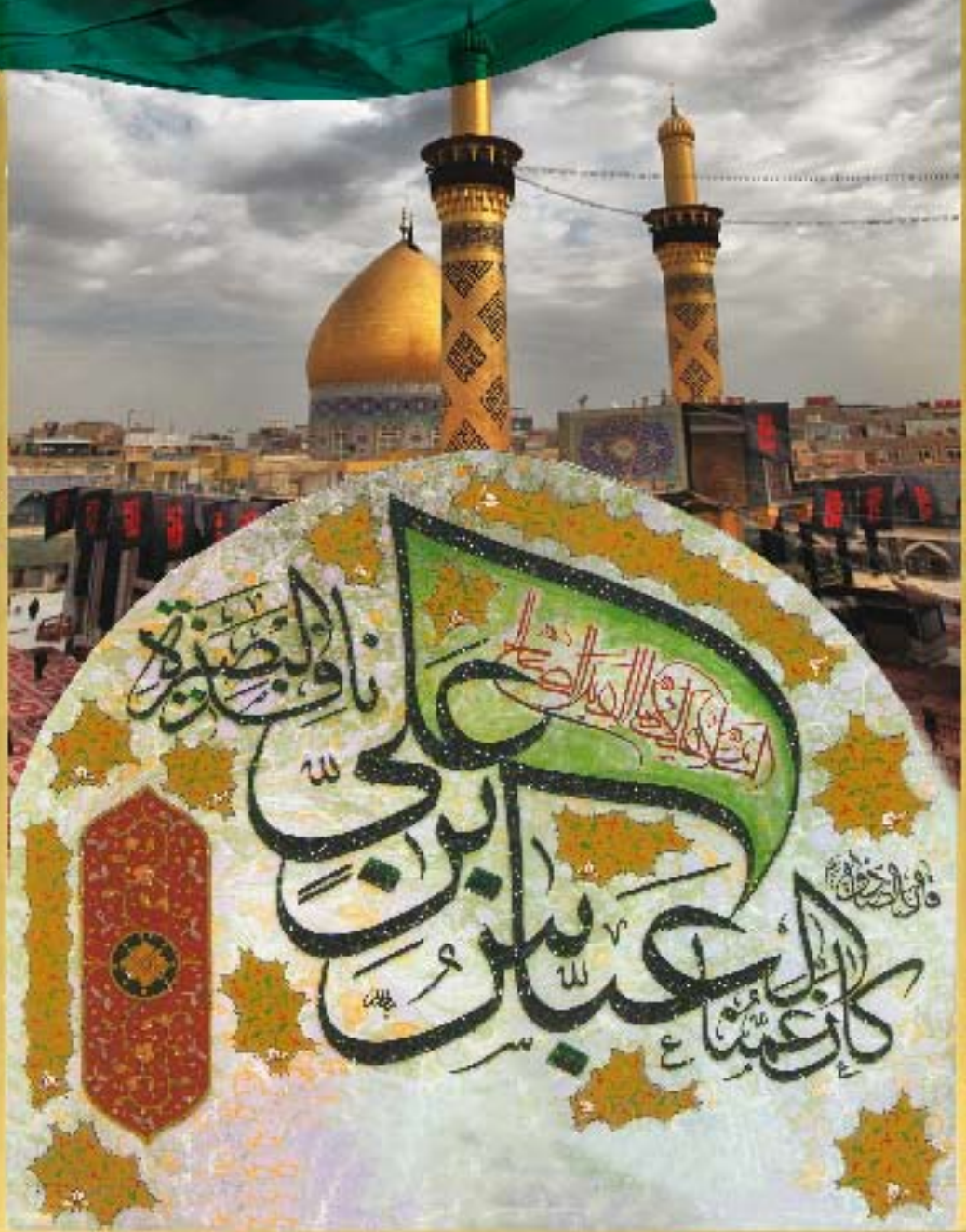

كلمة حق

أعتقد أن أولئك المستدرجون من خلال الدين، يتجددون في كل عصر بحسب ما ذكرت الأحاديث النبوية الشريفة، فها هم اليوم ينتشرون بين المسلمين، يصلون ويصومون، ويقرؤون القرآن، مستدرجون بعقولهم وآرائهم وأفكارهم وتبعيتهم، وكما قتل أسلافهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فهاهم اليوم يكفرون المسلمين المؤمنين أتباع وشيعة أمير المؤمنين، خير البرية كما وصفهم القرآن الكريم، ويعتبرون قتلهم جهادا في سبيل الله، ويعتبر أحدهم أنه وبكبسة زر على حزام ناسف يفجره في مساجد المؤمنين سوف يكون بين الحور العين في الجنة.

هذا هو واقع أولئك المستدرجون بالطاعات والعبادات، أهل العجب، خوارج العصر الحديث، الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، الجالسون على بساط عبودية دين معاوية ويزيد، أهل العقوبة واللعن والطرد من رحمة الله.

المستبصر صلاح الدين الحسيني

من شروط الدعاء

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

لقد حثَّ الأئمة (عليهم السلام) على الدعاء وبيَّنوا منافعه في الدنيا والآخرة،فينبغي للمؤمن أن لا يغفل عن الدعاء كل يوم مرات عديدة ففيه الفلاح والنجاة من عذاب يوم القيامة؛قال الإمام الصادق عليه السلام: « عليكم بالدعاء ، فإنّ المسلمين لم يدركوا نجاح الحوائج عند ربهم بأفضل من الدعاء والرغبة إليه والتضرع إلى الله والمسألة ، فارغبوا فيما رغبكم الله فيه ، وأجيبوا الله إلى ما دعاكم لتفلحوا وتنجوا من عذاب الله ».

وجاء في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام: « وَ اعْلَمْ أَنَّ الَّذي بِيَدِه خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ ،وَ تَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ وَ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَ تَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَ لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَ لَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ وَ لَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةَ، وَ لَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، وَ لَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى، وَ لَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَ لَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ ،وَ لَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَ حَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً وَ حَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً ،وَ فَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ وَ بَابَ الِاسْتِعْتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَ إِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ وَ أَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ وَ شَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ وَ اسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ وَ اسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ وَ سَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِه مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِه غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ وَ صِحَّةِ الْأَبْدَانِ وَ سَعَةِ الْأَرْزَاقِ، ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِه بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيه مِنْ مَسْأَلَتِه، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِه وَ اسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِه، فَلَا يُقْنِطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِه، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ وَ رُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَ أَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ، وَ رُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ وَ أُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيه هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ وَ يُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَ لَا تَبْقَى لَهُ» .

وقال الصادق عليه السلام : « أكثروا من أن تدعوا الله ، فإنّ الله يحبُّ من عباده المؤمنين أن يدعوه ، وقد وعده عباده المؤمنين الاستجابة ، والله مصيّر دعاء المؤمنين يوم القيامة لهم عملاً يزيدهم في الجنة».

كما أن الدعاء وصفة طبية روحية مقرونة بالرحمة والشفاء للمؤمنين الموقنين؛ فعن العلاء بن كامل ، قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام: « عليك بالدعاء ، فإنّه شفاء من كلّ داء ».

شرح خطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد (لعنه الله)

بعد هذه المقدمة والتمهيد قالت : (فمهلاً مهل)
يقال- للمسرع في مشيه ، أو المتفرد برأيه - : مهلاً . أو : على مهلك ، أي : أمهل ، ولا تسرع ، أي : ليس الأمر كما تعتقد أو كما تظن ، أو : ليس هذا الإسراع في العمل صحيحاً منك فلا تعجل حتى نبين لك حقيقة الأمر .
(لا تطش جهل) طاش فلان : أخذه الغرور وفقد إتزانه ، فصار غير ناضج في تصرفاته .
أي : يا يزيد ! لا تطش . . بسبب جهلك بالحقائق ، وخلطك بين المفاهيم والقيم ، والإغترار بالظواهر .
(أنسيت قول الله (عزوجل) : (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ؟ ! ! (سورة آل عمران ، الآية ١٧٨)
نملي : أي نطيل لهم المدة والمجال ، أو نطيل أعمارهم ونجعل الساحة مفتوحة أمامهم (خير لأنفسهم) ، بل : إنما نطيل أعمارهم ومدة سلطتهم وحكومتهم . . لتكون عاقبة أمرهم هي إزدياد الإثم والمعاصي في ملف أعمالهم ، ولهم عذاب مهين ، أي : يجزيهم - في جهنم ، تعذيباً ممزوجاً مع الإهانة والتحقير.
ثم خاطبته وذكرته بأصله السافل، ونسبه المخزي، فقالت : (أمن العدل يا بن الطلقاء)
وهذه الكلمة إشارة إلى ما حدث يوم فتح مكة ، فإن رسول الله (ص)لما فتح مكة - وصارت تحت سلطته - كان بإمكانه أن يقتلهم لما صدرت منهم من مواقف عدائية وحروب طاحنة ومتتالية ضد النبي الكريم - بالذات - وضد المسلمين بصورة عامة ، لكنه رغم كل ذلك . . إلتفت إليهم وقال لهم : (يا معاشر قريش ! ما ترون أني فاعل بكم ؟)
قالوا : (خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم)
فقال لهم : (إذهبوا فأنتم الطلقاء).
وكان فيهم : معاوية وأبو سفيان وهند وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم.
ويزيد هو ابن تلك الشجرة الملعونة ابن معاوية ، وحفيد أبي سفيان ، ويطلق عليه (ابن الطلقاء) إذ قد يستعمل ضمير الجمع في مورد التثنية .
أما معنى كلمة (يابن الطلقاء) فالطلقاء - جمع طليق - : وهو الأسير الذي أطلق عنه إساره ، وخلي سبيله .
إن رسول الله (ص)فتح مكة ، فصارت البلدة ومن فيها تحت سلطته وقدرته ، وكان بإمكانه أن ينتقم منهم أشد إنتقام ، وخاصة من أبي سفيان الذي كان يؤجج نار الفتن ، ويثير الناس ضد رسول الله ، ويقود الجيوش والعساكر لمحاربة النبي والمسلمين ، كما حدث ذلك يوم بدر وأحد ، وحنين والأحزاب ، وهكذا إبنه معاوية (الذي كان على دين أبيه) ، ولكن الرسول الكريم أطلقهما وخلى سبيلهما في من أطلقهم .
قال الله تعالى : (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) سورة محمد (ص)، الآية ٤ . .
(فإما منا بعد) أي : إما أن تمنوا عليهم مناً بعد أن تأسروهم ، أي : تحسنوا إليهم فتطلبوا منهم دفع شيء من المال إزاء إطلاقكم سراحهم .

وكان رسول الله (ص)مخيراً بين ضرب أعناقهم وبين المن والفداء ، فاختار الرسول الكريم المن وأطلقهم بلا فداء ولا عوض .
والظاهر بهذا الشرح أرادت السيدة زينب تقصد من كلمة (يابن الطلقاء) واحداً من معنيين:
المعنى الأول: أن تذكر يزيد بأنه ابن الطليقين الذين أطلقهما رسول الله (ص)مع أهل مكة، وكأنهم عبيد، فتكون الجملة تذكيراً له بسوء سوابقه المخزية وملف والده وجده !
والمعنى الثاني : أن تذكر يزيد بالإحسان الذي بذله رسول الله لأسلاف يزيد حيث أطلقهم ، فقالت : (أمن العدل) أي : هل هذا جزاء إحسان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أسلافك . . أن تتعامل مع حفيدات الرسول هذا التعامل السيئ ؟ !.
ولعل السيدة زينب قصدت المعنيين معاً .
ومن الواضح أنها لا تقصد - من كلامها هذا - السؤال والإستفهام ، بل تقصد توبيخ يزيد على سلوكه القبيح، ونفسيته المنحطة، وتنكر عليه تعامله السيئ، وتعلن له أنه بعيد - كل البعد - عن أوليات الفطرة البشرية ، وهي جزاء الإحسان بالإحسان ! !

كيف نحيي صلاة خاشعة

- هيئة المصلي، يجب أن تكون هيئة متميزة، فما دمنا محرومين من الخشوع الباطني، فعلى الأقل نتخشّع، ونحاول أن نظهر بثياب نظيفة بيضاء متطيبة، لنكن على هيئة جيدة عند لقاء الله عزّ وجل.

-الوقت: يبدو أن الصلاة كلها في واد، والصلاة في أول الوقت في واد آخر!.. الروايات في هذا المجال كثيرة، من الآيات ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾.. فالذي لم يصل في أول الوقت، لم يلبّ نداء ربه.. وما نصليه لاحقاً -من دون عُذر وجيه- تشبه الصلاة، لأن وقت الصلاة عند أولياء الله انتهى عند أول الوقت!..

- لو أن أبا طلب من ابنه أن يأتي له بكأس من الماء، وطلب منه ذلك ست مرات، وبعد فترة كذلك طلب منه ست مرات أن يعجل في جلب الماء.. ثم بعد ساعتين جاء له بأفضل أنواع العصير، فإنه سيقول له: خذ عصيرك هذا، أنا طلبت منك ماءً، والآن تأتيني بالعصير!.. وكذلك بالنسبة للصلاة: هناك الأذان: حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على خير العمل.. وبعد استراحة قليلة، تأتي الإقامة وتقول ست مرات كالسابق، فرب العالمين يقول: أقبل علي -اثنتا عشرة مرة- وأنت تقول في مقام العمل -ولو قلتها بلسانك كفرت بالله-: يا رب!.. أنا لست فارغا لك الآن، اتركني مع المسلسل، أو حتى مع الاجتماع التجاري المهم، أو ...الخ!.. ولو أنك صليت بعد ساعتين بخشوع وإقبال، فإنك بمثابة هذا الرجل.. وهذه إهانة، فالإهانة تكون تارة لفظية، وتارة عملية.. وفي بعض الأوقات الإهانات العملية ليس بأقل من الإهانات اللفظية.

- نحن نريد أن نصلح جوارحنا، بينما الأولياء الصالحون يريدون أن يصلحوا هواجسهم وخواطرهم. الأستاذ السيد القاضي -رحمه الله- قبيل وفاته أراد أن يلخص مدرسته الأخلاقية العرفانية، بأن خلاصة الطريق إلى الله عز وجل -ما مضمونه- الصلاة في أول الوقت هي المفتاح.. ولم يقيدها بالخشوع، وذلك من باب التخفيف.

- الصلاة في أول الوقت، حاولوا أن تعضوا عليها بالنواجذ.. إذا أراد الإنسان أن يكتشف نفسه، فعليه أن ينظر إلى نفسه عند دخول الوقت: فإذا كان متثاقلا، أو متفاجئا لدخول الوقت -وكأنه يتمنى أن لو أخّر المؤذن من وقت الأذان، ليكمل نشاطاته اليومية- فإن هذه من علامات البعد عن الله عز وجل.. هب أن عزيزاً عليك فارقك أشهرا أو سنوات، فإذا أراد أن يرى حبك له في هذه السنوات، يعلم ذلك عند المواجهة له في المطار، فينظر إلى تقاسيم الوجه.. فإذا رآك منشرحا متلهفا، يعلم بأنك صادق في محبتك له.. فالنبي الأكرم (ص) كان عندما يسمع الأذان، تتغير حالته ويقول: يا بلال، أبرِد!.. فمن بعض التفسيرات لهذه الكلمة: أبرد من البريد؛ أي عجّل كالبريد، لا تطيل الأذان مثلاً، أو لا تؤخر الوقت عن أوله.

يقول النبي الأكرم (ص): (إذا قام العبد إلى الصلاة، فكان هواه وقلبه إلى الله تعالى.. انصرف كيوم ولدته أمه).

- كيف نقضي الصلوات الفائتة، وخاصة صلاة الفجر؟.. إن الذين تفوتهم صلاة الفجر أكثر من مرة في الأسبوع، وخاصة إذا طال الأمر أسبوعاً كاملاً، فليحاول أن يناجي ربه قائلا: يا رب!.. ما الذي فعلت حتى طردتني من الوقوف بين يديك؟.. وقد جاء عن الإمام علي -عليه السلام- في جواب من سأله عن سبب ترك صلاة الليل، قال: أنت رجل قيدتك ذنوبك. فكيف بصلاة الفريضة!.. لو كان الله -عز وجل- يرغب في لقائك لأيقظك من نومك، ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾؛ أي أماناً ولطفاً، وبعض الأوقات يغشّيكم النعاس نقمة وطرداً.

لعل القضاء مع الندامة والاستحياء من الله -عز وجل- خير من الصلاة الأدائية.. أحد العلماء فاتته نافلة الليل مرة واحدة في عمره، فكان يعيش الحسرة إلى آخر عمره.. مثل إنسان تاجر، فاتته مناقصة فيها ملايين من الربح، فهو إلى آخر عمره يلهج بهذه الخسارة .

دلائل استمرار الإمامة

الحلقة الثانية

وهذه الإمامة التي تثبت لإبراهيم عليه السلام طلبها لذريّة من بعده ، حيث قال : ((ومن ذريّتي)) وقد استجاب الحقّ سبحانه دعاءه ، ولكن لم يجعلها في الظالمين من ذريّته ، وإنّما في غيرهم . يقول الرازي في ذيل هذه الآية «وقوله : ((ومن ذريّتي)) طلب للإمامة التي ذكرها الله تعالى ، فوجب أن يكون المراد بهذا العهد هو الإمامة ، ليكون الجواب مطابقاً للسؤال ، فتصير الآية كأنّه تعالى قال : (لا ينال الإمامة الظالمين، وكل عاصٍ فإنّه ظالم لنفسه) فكانت الآية دالّة على ما قلناه.

فإن قيل: ظاهر الآية يقتضي انتفاء كونهم ظالمين ظاهراً وباطناً ، ولا يصح ذلك في الأئمّة والقضاة .

قلنا: أمّا الشيعة ، فيستدلّون بهذه الآية على صحّة قولهم في وجوب العصمة ظاهراً وباطناً . وأمّا نحن نقول: مقتضى الآية ذلك . إلّا أنّا تركنا اعتبار الباطن فتبقى العدالة الظاهرة معتبرة » (التفسير الكبير:ج٤،ص٤٢) .

لكن لم يبيّن لنا الرازي ، لماذا ترك ما دلّت عليه الآية من وجوب العصمة ظاهراً وباطناً، واكتفى بالعدالة الظاهريّة ، مع اعترافه بدلالة الآية على ذلك ، وكيف كان ((ستكتب شهادتهم ويسألون)) (الزخرف:١٩). ومن الواضح أنّ استجابة دعائه في ذريّة ، لا يختص بالصليبيين فقط ، بل هو شامل لجميع ذريّته شريطة أن لا يكون ظالماً. وهذا ما أكّده الإمام الرضا عليه السلام بقوله : «أنّ الإمامة خصّ الله عزّوجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة والخلّة مرتبة ثالثة ، وفضيلة شرّفه بها وأشاد بها ذكره ، فقال : ((إنّي جاعلك للناس إماماً)) ، فقال الخليل عليه السلام سروراً بها : ((ومن ذريّتي)) قال الله تبارك وتعالى: ((لا ينال عهدي الظالمين)) فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة ، وصارت في الصفوة، ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريّته أهل الصفوة والطهارة ، فقال: ((ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة كلّاً جعلنا صالحين وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين)) (الأنبياء :٧٣)، فلم تزل في ذريّته يرثها بعضاً عن بعض، قرناً فقرناً. حتّى ورّثها الله تعالى النبي (صلي الله عليه واله وسلم) فقال تعالى: ((إنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين)) فكانت له خاصّة، فقلّدها عليّاً عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريّته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى: ((وقال الذين اوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث)) (الروم :٥٦) فهي في ولد علي عليه السلام خاصّة إلى يوم القيامة» (الأصول من الكافي :ج ١ ، ص١٩٩ ،باب نادر وجامع في فضل الإمام وصفاته) .

الآية الثالثة : ((وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنّني براء ممّا تعبدون × إلّا الذي فطرني فإنّه سيهدين× وجعلها كلمة باقية في عقبة لعلّهم يرجعون)) (الزخرف:٢٦-٢٨).

«ذهب جمع من المفسرين إلى أنّ الكلمة الباقية في عقب إبراهيم عليه السلام هي كلمة التوحيد ، إذ براءته مما يعبد قومه ، واتجاهه نحو الذي فطره هو عين معنى كلمة التوحيد (لا إله إلّا الله) (البيان : ج٩، ص١٩٣،الكشاف:ج٤،ص٢٤٦ ،التفسيرالكبر:ج٢٧،ص٢٠٨،الميزا ن: ج١٨،ص٩٦ . وقوله : ((لعلّهم يرجعون))، أي يرجع المشرك منهم بدعوة الموحّد إلى الله تعالى.

إذن فقد جعل الله تعالى التوحيد باقياً في ذريّة إبراهيم عليه السلام وعقبه ، ولا تخلو ذريّته من الموحّدين . أنّ جميع المعاصي نوع ، بل مرتبة من مراتب الشرك بالله تعالى ، والتوحيد الذي جعله الله تعالى باقياً في عقب إبراهيم عليه السلام لا بدّ أن يكون التوحيد الحقيقي ، الذي لا يشوبه شيء من الشرك أبداً ، ليستحق الإشادة به في القرآن الكريم ، وإلّا فلا يمكن أن يريد به التوحيد الذي وصفه الله سبحانه بقوله : ((وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون)) (يوسف:١٠٦) .

هذا مضافاً إلى أنّ ظاهر الآية أنّ هذا التوحيد الباقي في عقبة هو التوحيد الابراهيمي الذي لم يخالطه أدنى شرك بالله العظيم . لكن من كان يتحلّى بمثل هذا التوحيد الحقيقي علماً وعملاً. ومن كان يحمل بين جوانحه ما يحمله شيخ الموحّدين الذي ((قال له ربّه أسلم قال أسلمت لربّ العالمين)) (البقرة:١٣١) .

لا شكّ أنّ الذي يتحلّى بذلك هو الذي ناله عهد الله سبحانه من ذريّة الخليل عليه السلام حينما قال : ((ومن ذرّيّتي قال لا ينال عهدي الظالمين)) .

ومن هنا يتضح جليّاً بقاء الإمامة التي جعلها الله تبارك وتعالى لخليله إبراهيم ، ببقاء تلك الكلمة المباركة في عقبة وذريّته «(العصمة :ص٣٥) .

حديث وسنتي في الميزان

ورد في بعض المصادر السنية لفظ (وسنتي) بدل (وعترتي) وبالتالي قد يدّعي البعض أن حديث (وعترتي) معارض بحديث (وسنتي) فنقول أولاً : لقد ذكرنا أن حديث (وعترتي) من الأحاديث المتواترة وحديث (وسنتي) ليس كذلك والمتواتر مقدم على غيره، فثبت تقديم حديث (وعترتي) على خبر (وسنتي). وثانيا : أن حديث (وعترتي) حديث صحيح مروي بأسانيد صحيحة وحسنة وخبر (وسنتي) ليس كذلك كما سنبينه أدناه، فالصحيح مقدم على غيره، فوجب تقديم حديث (وعترتي). ثالثا : أنقل هنا قولاً لأحد علماء أهل السّنة في حديث له حول هذا الحديث وهو الحسن بن علي السقاف الشافعي قال : ((سئلت عن حديث : تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله و.. هل الحديث الصحيح بلفظ ((عترتي وأهل بيتي)) أو هو بلفظ ((سنتي)) نرجو توضيح ذلك من جهة الحديث وسنده ؟ الجواب : الحديث الثابت الصحيح هو بلفظ ((وأهل بيتي)) والرواية التي فيها لفظ ((سنتي)) باطلة من ناحية السند والمتن، ونوضح هنا إن شاء الله تعالى قضية السند لأن السؤال وقع بها، فنقول : روى الحديث مسلم في صحيحه (٤/ ٣٧٨١) برقم ٢٤٠٨ طبعة عبد الباقي) عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد الله فأثنى عليه، ووعظ وذكّر ثم قال : (أما بعد : ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال : (وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي) هذا لفظ مسلم، ورواه أيضاً بهذا اللفظ الدارمي في سننه (٢/ ٤٣١ - ٤٣٢) بإسناد صحيح كالشمس، وغيرهما.. أما لفظ ((وسنتي)) فلا شك بأنه موضوع لضعف سنده ووهائه ولعوامل أموية أثرت في ذلك. وإليك إسناده ومتنه : روى الحاكم في المستدرك (١/ ٩٣) الحديث بإسناده من طريق ابن أبي أويس عن أبيه عن ثور بن زيد الديلي عن عكرمة عن ابن عباس وفيه : (أيها الناس قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم..) وأقول : في سنده ابن أبي أويس وأبوه، قال الحافظ المزي في تهذيب الكمال (٣/ ١٢٧) في ترجمة الإبن - ابن أبي أويس - وأنقل قول من جرحه : ((معاوية بن صالح عن يحيى - بن معين - أبو أويس وابنه ضعيفان، وعن يحيى بن معين - أيضاً - : ابن أبي أويس وأبوه يسرقان الحديث، وعن يحيى - أيضاً - مخلّط يكذب ليس بشيء. وقال أبو حاتم : محله الصدق، وكان مغفلاً. وقال النسائي : ضعيف، وقال - النسائي - : في موضع آخر : ليس بثقة، وقال أبو القاسم اللالكائي : بالغ النسائي في الكلام عليه إلى أنّ يؤدي إلى تركه.. وقال أبو أحمد بن عدي : وابن أبي أويس هذا روى عن خاله مالك أحاديث غرائب لا يتابعه أحد عليه..)) قلت : قال الحافظ ابن حجر في ((مقدمة فتح الباري)) ص ٣٩١ دار المعرفة عن ابن أبي أويس هذا : ((وعلى هذا لا يحتجّ بشيء من حديثه غير ما في الصحيح من أجل ما قدح فيه النسائي وغيره..)). قال الحافظ السيد أحمد بن الصّديق في ((فتح الملك العلي)) ص ١٥ : ((وقال سلمة بن شبيب : سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول : ربما كنت أضع لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم)). فالرجل متهم بالوضع، وقد رماه ابن معين بالكذب، وحديثه الذي فيه لفظ ((وسنتي)) ليس في واحد من الصحيحين. وأما أبيه فقال أبو حاتم الرازي كما في كتاب ابنه الجرح والتعديل (٥/ ٩٢) : ((يكتب حديثه ولا يحتج به، وليس بالقوي)) ونقل في المصدر نفسه ابن أبي حاتم عن ابن معين أنه قال فيه : ((ليس بثقة)). قلت : وسند فيه مثل هذان اللذان قدمنا الكلام عليهما، لا يصح - حتى يلج الجمل في سمّ الخياط - لا سيما وما جاءا به مخالف للثابت في الصحيح، فتأمل جيداً هداك الله تعالى..

معاناة صابرة

احمد السيلاوي

ففي ذات يوم سمعت صراخ الجيران من حولنا وهم ينادوني: (يأم فلان ، زوجك...زوجك!!!)
ركضت أنا وأطفالي مسرعين لنرى ماحدث،، لقد قام زوجي بالعراك مع رجل من زبائنه اختلف معه على ثمن قطعة المخدرات، فتطاعنا بالسكين، فطعنة زوجي ومات على الفور، لقد شاهدت زوجي وقد تلطخت ملابسه بالدماء وهو يرتجف بين أيدي الشرطة، كانت شفتاه تميلان إلى اللون الابيض من هول الموقف. أما عيناه فقد كانت زائغتان ينظر إلى الناس من حوله بذهول...
بعد أسبوع فقط من القبض عليه وقبل حتى أن تبدأ محاكمته،، أصدرت عدالة السماء حكمها فمات بعد ارتفاع الضغط وإصابته بنزيف دماغي،كنت أنظر في منزلي،وجاءت أسرتي تعزيني بوفاته وأنا التي لم أراهم منذ سنتين... كانت أول كلمه قالتها لي أمي حتى قبل أن تسلم علي.قالت(الله يرحمه.. هل عنده ورث؟!)
ولولا خوفي من الله لطردتها ، ومن تصاريف الله أن زوجي كان مديون وحين علمت أسرتي بذلك لم أعد أراهم فقد خافوا أن أشكل عليهم عبئا» إضافيا» أنا وأطفالي.شعرت بالألم المزوج بالقهر .فيالها من بيعة خاسرة تلك البيعة التي عقدها أهلي مع ذلك الجلاد، وفضل أهلي الهرب بعيدا» عني.جلست أفكر فأنا أرملة في العشرين من عمري وعندي ٣ أطفال وليس لدي أي مصدر للرزق،وأمامي طريق هو طريق الكفاح والصبر كان أول مافعلته أنني بعت آخر قطعة ذهب ورحلت عن منزلي الأول الذي شهد أسوأ ذكرياتي..
وانتقلت أنا وأطفالي إلى مدينة بعيده واستأجرت غرفة صغيرة بحمامها فقط،واشتريت مدفأه نفطية وسريرا مستعمل لي ولأطفالي، وبعض الأواني القديمة المستعملة، ولكن ماجعلها مثل الحلم في نظري هو أنني وحدي فيها مع أطفالي فأنا التي أحدد مصيري بعد إرادة الله طبعا».
بدأت أبحث عن عمل شريف، ولقد سخر الله لي جيران طيبين ساعدوني كثيرا فقد كانوا يتصدقون علينا ببعض الطعام والملابس القديمة وأحسنوا إلي فجزاهم الله عني خير الجزاء، ووجدت عمل حكومي كمعاملة في أحد المدارس الثانوية القريبه من بيتي،ولا أنسى أول راتب قبضته في حياتي كان بسيط ولكن دموعي انهمرت لحظة استلامه بكيت كثيرا وحمدت الله على رزقه وإعانتي على لقمة العيش.. اشتريت لأطفالي ملابس جديدة وألعاب وطعاما» طيبا» ولأول مرة منذ أربعة أشهر أطبخ دجاجا» لأطفالي!!!
واشتريت لهم بسكويتا » وشوكولاته.. كنت أرى السعادة في أعينهم..مرت سنة كامله وأنا في وظيفتي استطعت أن أكسب احترام مديرتي وتعاطف المعلمات وحب الطالبات،، وذات يوم. سألت نفسي: لماذا لا أكمل تعليمي الثانوي خاصة أنني في مدرسة ثانوية؟
عرضت الأمر على مديرتي فشجعتني وقدمت أوراق انتسابي وكان صدفه أن ابني البكر يدرس في الصف الأول ابتدائي وأنا أول ثانوي،، اجتهدت في دراستي بالرغم من الأحمال الملقاه على عاتقي كأم وموظفة وطالبه!!!
وفي خلال٣سنوات حصلت على شهادة الثانوية العامة بنسبه ٩٧٪

بكيت كثيرا وأنا أرى بداية الخير وأرى ثمار جهدي بدأت تنضج..
انتقلت من عملي كعاملة وقدمت على وظيفة كاتبه في إحدى الدوائر الحكومية.براتب جيد بالإضافة إلى تقديم أوراق انتسابي إلى الجامعة قسم تربية إسلامية استأجرت شقة صغيرة مكونة من غرفتين وصالة ومطبخ ودورة مياة ولأول مرة يدخل التلفزيون إلى بيتنا بعد أن أخذت سلفه من البنك أثثت فيها الشقة
وبدأت ارتاح في حياتي،خاصة أن أطفالي دخلوا المدارس وأصبحوا متفوقين دراسيا وأخلاقيا» حاولت أن أعوض أطفالي واشتري لهم كل ماتهفو إليه أنفسهم.. وكونت علاقات صداقة مع زميلاتي وأخوات لي في الله كن نعم العون لي فكنا نذهب في نزهات وزيارات ، وكل ذلك من أجل أن أرفه أبنائي..مرت أربع سنوات عصيبة حصلت من خلالها على البكالوريوس بتقدير إمتياز.وبعدها تم وبفضل الله تعييني مدرسة ثانوية..كان ابني الكبير في الثالثه عشر من عمره واحتضنني وقال (أنتي أعظم أم أنا فخور بك)واحتضنتهم جميعا» وظللنا نبكي بلاشعور لساعات،، ولأول مره أقبض مرتبا» ضخما» تصدقت بنصفه كشكر لله ونصفه الباقي اشتريت لأطفالي جميع مايحتاجون، ، وبدأت أدخر جزء كبير من مرتبي لكي أبني به منزل خاص لي،، وقدمت على الماجستير وحصلت عليها خلال سنتين فقط بتفدير إمتياز ، وبدأت في بناء منزلنا مكون من طابقين به عشر غرف وصالتين ومطبخ ومستودع وحديقة كبيرة ، ثم قدمت على الدكتوراه وكان مشوارها صعبا» جدا خاصة أن أطفالي بدؤا يكبرون وكان الإرهاق يكاد يقتلني وأنا أشتت نفسي بين عملي كمعلمة وبين مذاكرتي للدكتوراه وأبحاثي وبين مذاكرة أولادي وبين الاشراف على البناء والتأثيث، والذي كان أثاثا» ضخما» ورائعا» وحصلت على درجة الدكتوراه وتم تعييني كأستاذة في الجامعة وكان عمري حينها ٣٧،أتعلمون لحظة استلامي لشهادتي بمن فكرت؟؟
لقد فكرت بأمي ، ترى لو رأتني في هذا المشهد فهل كانت ستبكي من الفرح،، ولكن لا تعتقدوا أني عاقة لوالدتي أو أنني لم أحاول صلتها في مامضى ! بالعكس لقد ذهبت إليها أكثر من مره ووجدتها كما هي لم تتغير!! بالرغم من انني كنت ارسل لها جزء من راتبي.
أبتسمت الحياة لي بعد عبوس طويل ..

إن الغرض من ذكر هذه القصص أرقى من مجرد السرد التاريخي.. فهناك عدة دروس مستفادة من هذه القصص:

الدرس الأول: أن نلتفت إلى حقيقة أن إمام العصر عليه السلام معني بشئون زمانه كلها، سواء في ذلك ما يجري على غير المسلمين، وما يجري على المسلمين، وما يجري على خواص محبيه.. لا يعزب عنه هذه الأخبار، فهو يتألم لما يسمع مما لا يرضيه.. وشأنه في ذلك شأن آبائه المعصومين (عليهم السلام) حيث كانوا يتألمون من صيحة: وا إسلاماه!.. وا غوثاه!.. أشد التألم.. فهذه صفة من صفات الكمال في المعصوم: الرقة، والحنان، والأذى، والتأثر، وإغاثة اللهفان.. فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤتى ببنت حاتم الطائي، فأمهلها فترة.. فتعجب المسلمون!.. لماذا عاملها النبي كمعاملة باقي الأسرى، رغم أنها من أسرة كريمة؟.. فكما يقال: (أكرموا عزيز قوم ذل).. فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ينتظر الفرصة، لأن يرجعها إلى أهلها معززة مكرمة، احتراما لهذه الصفة التي كانت في أبيها حاتم الطائي.. نعم، هذه صفاتهم صلوات الله وسلامه عليهم.. والشاعر يقول:

ملكنا فكان العفو منا سجية
فلما ملكتم سال بالدم أبطح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا
وكل إناء بما فيه ينضح

الدرس الثاني: أن من يتمنى لقاء الإمام، ويعلم أن الإمام سيلطف به في زمان الغيبة، فإنه سيترقى في مستواه؛ لأنه عليه السلام لا ينظر إلا لمن اكتملت فيه صفات التقوى.. وما الذي يعجب الإمام في هذا الوجود؟.. فما سوى الله عز وجل، لا قيمة له لديه، إلا بمقدار ما لله من نصيب في ذلك الموجود.

هذه قصة نقلت عن علم من أعلام الإمامية، ألا وهو السيد محمد مهدي، المدعو ببحر العلوم.. هذا الرجل الذي كل ما يقال عنه، وكل ما يدعيه في زمان الغيبة من مسائل التشرف، نراه طبيعيا في حقه، لأنه جمع بين الكمالين: العلمي، والعملي.. ومن هنا كان ينظر إليه بتميز في تاريخ الإمامية.

يقول الراوي لهذه القصة: (كنت حاضراً في مجلس السيد في المشهد الغروي، إذ دخل عليه لزيارته المحقّق القمي -صاحب القوانين في السنة- التي رجع فيها إلى العراق، زائراً لقبور الأئمة (عليهم السلام)، وحاجّاً لبيت الله الحرام.. فتفرّق من كان في المجلس، وحضر للاستفادة منه -وكانوا أزيد من مائة -وبقيت ثلاثة من أصحابه، أرباب الورع والسداد البالغين إلى رتبة الاجتهاد.. فتوجّه المحقّق الأيّد إلى جناب السيد وقال: إنكم فُزتم، وحُزتم مرتبة الولادة الروحانية والجسمانية، وقرب المكان الظاهري والباطني.. فتصدّقوا علينا بذكر مائدة من موائد تلك الخوان، وثمرة من الثمار التي جنيتم من هذه الجنان، كي تنشرح به الصدور، وتطمئن به القلوب.

فأجاب السيد من غير تأمّل، وقال: إني كنت في الليلة الماضية قبل ليلتين أو أقل -والترديد من الراوي- في المسجد الأعظم بالكوفة لأداء نافلة الليل، عازماً على الرجوع إلى النجف في أول الصبح؛ لئلا يتعطّل أمر البحث والمذاكرة -وهكذا كان دأبه في سنين عديدة- فلما خرجتُ من المسجد أُلقي في روعي الشوق إلى مسجد السهلة، فصرفتُ خيالي عنه، خوفاً من عدم الوصول إلى البلد قبل الصبح، فيفوت البحث في اليوم.. ولكن كان الشوق يزيد في كلّ آن، ويميل القلب إلى ذلك المكان.. فبينا أقدّم رجلاً وأؤخّر أخرى، إذا بريح فيها غبارٌ كثيرٌ فهاجت بي وأمالتني عن الطريق.. فكأنها التوفيق الذي هو خير رفيق، إلى أن ألقتني إلى باب المسجد.

فدخلت فإذا به خالياً عن العبّاد والزوّار، إلا شخصاً جليلاً مشغولاً بالمناجاة مع الجبّار، بكلمات ترقّ القلوب القاسية، وتسح الدموع من العيون الجامدة.. فطار بالي، وتغيّرت حالي، ورجفت ركبتي، وهملت دمعتي من استماع تلك الكلمات، التي لم تسمعها أذني، ولم ترها عيني مما وصلت إليه من الأدعية المأثورة.. وعرفت أن الناجي ينشئها في الحال، لا أنه ينشد ما أودعه في البال).

الخميس
رقم الأيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٢١٩ لسنة ٢٠٠٩
زورونا على الموقع www.alkafeel.net . راسلونا على nashra@alkafeel.net
اتصلوا بنا.. الهاتف / بدالة ٣٧٣٦٠٠ داخلي ١٦٢
تحرير: السيد محمد العطار
تصميم واخراج: احمد السيلاوي